سينما

سارة الشاذلي وحميمية التصوير الوثائقي

أهذه عودةٌ أم رحلة خروج؟

في أول وثائقي طويل لها، تحاور سارة الشاذلي والدها في منزله في القاهرة زمن كورونا، وتقترب منه ومن والدتها أكثر فأكثر، عبر صُور وصمت

نديم جرجوره

أوصافٌ نقدية عدّة تُقال في «العودة» (2021)، أول وثائقي طويل (76 دقيقة) للمصرية سارة الشاذلي. الحميمية والذاتية أبرز الأوصاف. هناك أيضاً العزلة والتعارف والتواصل بين أفراد عائلة واحدة، وصولاً إلى الاغتسال من ثقل أيام وتجارب وعلاقات، بحثاً عن مرحلة جديدة من العيش، أو رغبة في مواجهة مرحلة وحالاتٍ سابقة، لفهمها أو لكشف خفاياها أو لتعرية شيءٍ منها.

لكنْ، هل ترغب سارة الشاذلي في هذا كلّه؟ أم أنّ رغبتها في لقاء والديها في القاهرة دافعٌ إلى تصوير لحظاتٍ، يغلب عليها الحميميّ والذاتيّ في التقاط جوانب مختلفة، في المادّيّ (المنزل وفضاؤه، الجسد وحركاته، تفاصيل دقيقة لأشياء عدّة، الموسيقى، المشهد الخارجي، المنطقة حيث مبنى المنزل العائلي، إلخ.) والروحيّ (كلامٌ عن مرضٍ ووباء وتحدّيات وتساؤلات)؟

يكشف «العودة» هذا كلّه بأسلوب بسيط وهادئ، وبكاميرا صغيرة، وبعينين مفتوحتين على وسعهما لاكتشافٍ ونظراتٍ وتمعّنٍ في أحوال آنيّة، متأتية من سيرة مديدة. «العودة» يقول شيئاً من هذا بصُوَر ولقطات، بعضها طويل قليلاً، إذْ لا فائدة من دقائق عدّة عن رقص أو غناءٍ أو طبخ، قبل التيقن من أنّ الإطالة مُندرجة في سياقٍ بصري، يجمع هوامش كثيرة ليوثّق عالماً أليفاً لأفراد عائلة واحدة.

للكلام، بين سارة الشاذلي ووالدها نبيل تحديداً، حضورٌ يكاد يتساوى والصمت الذي، بمساحته الخاصة في السرد البصري، يُصبح أشبه بكلامٍ تقوله صُوَر ومَشاهد. الوالدة، ماريان خوري، منعزلةٌ في غرفتها، بانتظار التأكّد من عدم إصابتها بكورونا (تصل سارة إلى القاهرة في مارس/ آذار 2020، من دون تحديد اليوم، مع بداية أول عزلة منزلية في المدينة). كلامٌ عفوي أمام كاميرا غير عفوية، إذْ تكشف عدستها تمكّناً من ملاحقة الأشياء والكلمات والمناخ، ودقّةً في توليفٍ (سارة الشاذلي، المُصوّرة وكاتبة السيناريو والمشاركة مع والديها في الإنتاج، إلى جانب «أفلام مصر العالمية»)، يوحي ببساطةٍ لن تحول دون متابعة هادئة لسيرة تلك العائلة بعينيّ الابنة.

بعض تلك السيرة يُشكّل نواة درامية للوثائقيّ «إحكيلي» (2019)، لماريان الخوري. نواة ترتكز على حوار طويل مع سارة، في غرفٍ ومدنٍ وفضاءات مفتوحة على مسار وتاريخ وذاكرة وراهن. كأنّ «إحكيلي» تحريضٌ للشابّة على استكمال جانبٍ آخر من السيرة، أو على قول شيءٍ حميميّ وذاتيّ منها، ينبثق من اختبارٍ إمكانية تخزين حكايات وحالات وانفعالات في صُوَر متتالية، تبدو أولاً مجرّد صُوَر عائلية بحتة،

> كلام يتساوى بحضوره مع صمتٍ يُشبه كلاماً عبر الصُوَر

لتصل إلى خاتمةٍ تقول إنّ «العودة»، المُشارك في مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة، في الدورة الـ5 (14 . 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2021) لـ«مهرجان الجونة السينمائي»، يُخرج العائليّ من عزلته وحميميّته وذاتيّته، إلى حكاية مفتوحة على هواجس وتساؤلات، كخروج أفراد العائلة أنفسهم من تلك العزلة إلى شاطئ وبحر ومدى واسع.

بساطة «العودة» في مقاربة مسائل وحكايات تقول إنّ كلّ ترميزٍ غير ملائم لها (البساطة). الخروج من العزلة عادي للغاية، بعد وقتٍ على التقوقع في منزل يُطلّ على جوانب من القاهرة، من علوٍّ يشي بإطلالة تلتقط فراغاً وهدوءاً، كالتقاطها وقائع عيشٍ يوميّ من دون عزلةٍ. بساطة مُريحة في سردها وتصويرها وتوليف مشاهدها، وفي كلام وبوح وتواصل، وفي عزلة يليها خروج إلى ذاك المَدى المفتوح، كعينيّ سارة خلف الكاميرا، اللتين تريدان جمع كلّ شيءٍ دفعة واحدة، قبل غربلتها وانتزاع بعضها لتشكيل مسار درامي متماسك ببساطته الفنية والجمالية، وبعمق حميميته وذاتيته، وهاتان الحميمية والذاتية لن تحولا دون مرافقةٍ غير سهلة، رغم البساطة نفسها.

فالمرافقة مطالبة بالتنبّه إلى الحدّ الفاصل بين ما يُظنّ أنّه رتابة، وما يحدث أمام العدسة، وفي عمق ما يحدث أيضاً. تصوير عائليّ، مليء بالحميمية والذاتية، دافعٌ إلى تساؤل عن فائدة ذلك في سينما، يزداد تعمّقها في أحوال أفرادٍ مع عائلاتهم، وأحوال الأفراد والعائلات مع راهنٍ وماضٍ، وفي الراهن والماضي تساؤلات، معظمها غير محسوم. التعمّق السينمائي في حالةٍ كهذه ردٌّ على أولوية القطع مع ما يُظنّ أنّه رتابة، فهذا جزءٌ من لعبة بصرية، تمتحن المُشاهد لإدراك قدراته على التوغّل في الحميمي والذاتي، وإنْ يبتعدان عنه وعن انفعالاته وهواجسه وتساؤلاته الخاصّة. اللعبة البصرية تشي بأنّ اللاحق لهذه الدقيقة أو لتلك اللقطة مختلفٌ أو متشابهٌ، والمتابعة وحدها كفيلةٌ بكشف الآتي من صُوَر ولقطات وأقوال وحركات وسلوك ونبرة. في ختام «العودة»، تكتب سارة الشاذلي أنّها، بعد 10 أعوام من العيش خارج الوطن، تشعر للمرّة الأولى بأنّ قرار عودتها إلى بلدها صحيح: «بعد فترة وجيزة على رحلتي الأخيرة مع والدي، أُقرّر الانتقال من شقّة أهلي لأبدأ حياة جديدة لي في مصر». قولٌ كهذا يوحي بأنّ سارة ترغب في مشاركة آخرين في رحلة الخروج، لا العودة فقط، من عالم، تريد تحرّراً منه، أيّاً يكن شكل التحرّر ومُسبّباته، والأشياء الدافعة إليه. الحميمي والذاتي يعكسان سلاسة علاقة عائلية، تتناقض ورغبة التحرّر. لكن خطوة الانتقال من شقّة الأهل، بعد 10 أعوام من الاغتراب، غير سهلةٍ، رغم كلّ شيءٍ، وبسبب كلّ شيء أيضاً.

مع سارة الشاذلي، تُصبح العودة خروجاً يمتلك حساسية صورة، ونبض صمت، وجمال أفق مفتوح على احتمالات واختبارات.

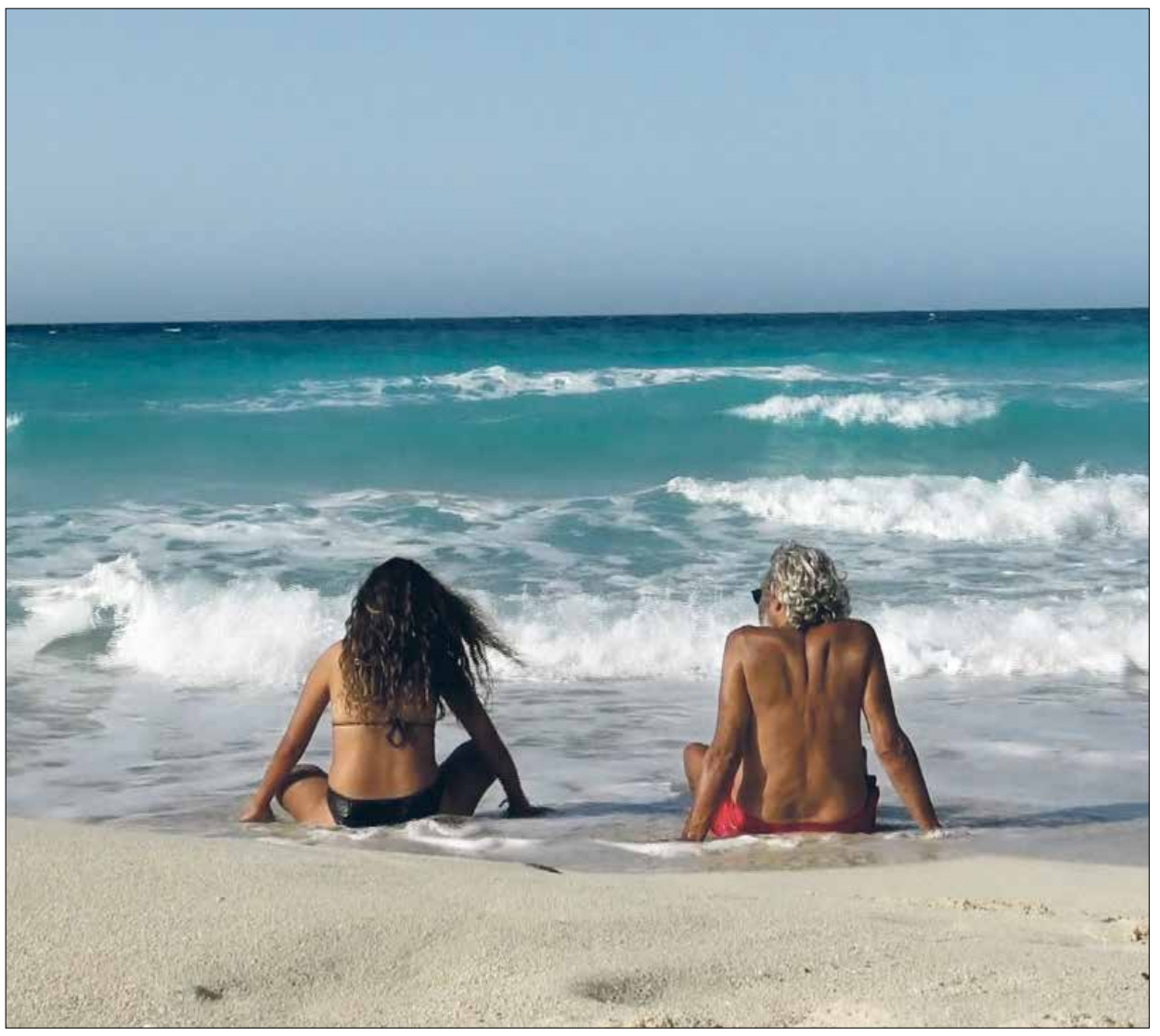

نبيل وسارة الشاذلي في «العودة»: الأفق المفتوح (الملف الصحافي)

إهانة الفلسطيني وسُمعة مصر

أي خراب هذا؟ أي خنوع وبهتان؟

يصعب التغاضي عن المسألة: أشباه نجوم، من ممثلين وممثلات، وعاملون في صناعة السينما المصرية، يشنّون حملة ضد «ريش»، لعمر الزهيري، فور عرضه في الدورة الـ5 (14 . 22 أكتوبر/ تشرين الأول 2021) لـ«مهرجان الجونة السينمائي» (جائزة نجمة الجونة لأفضل فيلم عربي روائي طويل، 20 ألف دولار أميركي)، لأنّهم يرون فيه «إساءة إلى سُمعة مصر»، أو مجرّد «فيلم تافهٍ»، والوصف الأخير خلاصة أوصافٍ تُشبهه، يُطلقها صنّاع أفلام (إخراجاً وتصويراً على الأقلّ)، لهم سيرة سينمائية حاضرة في التاريخ الحديث للفن السابع المصري.

لكلّ واحد رأي وأسلوب يعتمده في التعبير عن هذا الرأي، والأسلوب يعكس شخصيّته وسلوكه وتفكيره وتربيته وثقافته ووعيه. بعض قليل يريد نقاشاً جدّياً. بعضٌ آخر يتسلّح بوطنية مقيتة، أو بمفردات قريبة من الشتم، لأنّه غير معجب بـ«ريش»، وبأفلام راسخة في ذاكرة السينما المصرية، تبقى أهمّ وأعمق وأجمل من سهولة الشتم، وتفاهة قائلين به.

هذا سجال سينتهي قريباً، كعادة السجالات الباهتة والبليدة في القاهرة. المأزق الأخلاقيّ كامنٌ في مسألةٍ أهمّ وأخطر، إذْ يتغاضى هؤلاء وغيرهم عن إهانةٍ يتعرّض لها سينمائيون فلسطينيون في مطار القاهرة، لسبب يُمنع الإعلان عنه رسمياً. سلطة عبد الفتّاح السيسي وجماعته منخرطةٌ في إهانة الفلسطيني، رغم تمكّن فلسطينيين آخرين من الدخول إلى مصر، والمشاركة في «مهرجان الجونة»، لأسباب غير معروفة البتّة. هذا تناقض يبدو مقصوداً، كمن يريد تأديباً للفلسطيني من ناحية، وإظهار انفتاح سبب آخر يدعو إلى منع الفلسطيني من الدخول إلى مصر، أقلّه بانتظار جرأة نظام قاتل على إعلان السبب الحقيقي رسمياً) فعلٌ فاشيّ عنصريّ يتكامل وأفعال ذاك النظام، غير المتردّد أبداً عن إعدام شباب بتهمة جُرمية، يتبيّن بعد أشهر قليلة فقطُ أنّهم أبرياء منها، وغير المتردّد عن سجن أناس بسبب آراء لهم غير عنيفة، وغير محرّضة على قتل وسرقة وفساد ونهب، وغير متناقضة مع حبّ صافٍ وحقيقي وصادق للبلد ولناس البلد، بخلاف أولئك الصارخين جهلاً وغباءً عن سُمعة مصر وسُمعة شعب مصر.

هيام عبّاس إحدى ممثلات «باب الشمس» ليُسري نصرالله (دومينيك شارّيو/ وايرايماج)

> إهانة الفلسطيني غير مُسيئة أما الأفلام الواقعية فنعم

إهانة الفلسطيني لأنّه فلسطيني غير مُسيئة إلى تلك السُمعة، التي يتفنّن نظام عبد الفتّاح السيسي وجماعته في صُنع كلّ ما يُسيء إليها، في أسوأ مرحلةٍ في التاريخ الحديث لمصر، كامتدادٍ لمراحل حُكم تتفاوت أشكال إساءاته إلى مصر وسُمعتها، منذ «ثورة 25 يوليو» (1952) على الأقلّ. أمّا الفلسطيني، في المراحل تلك، فغائبٌ من كلّ اهتمام، باستثناء لحظات ترتبط بمصالح هذا النّظام أو ذاك، علماً أنّ السينما المصرية منحازة، بشكلٍ شبه كامل، إلى أفلامٍ عن حروب مصر ضدّ إسرائيل، أكثر بكثيرٍ من أي اهتمام، ولو بسيط، بالفلسطيني، رغم استثناءاتٍ نادرة، أحدها «باب الشمس» (2004) ليُسري نصرالله، المقتبس عن رواية بالعنوان نفسه (1998) للّبناني الياس خوري.

إهانة الفلسطيني غير مُسيئةٍ إلى سُمعة مصر وشعبها، بينما «ريش» وأفلام مصرية أخرى تُسيء إليها لتوغّلها في وقائع يعيشها مصريون كثيرون. أيّ خرابٍ هذا؟ أيّ خنوع وبهتان؟

نديم...

أفلام جديدة

■ The Worst Person In The World

ليواكيم تريير، تمثيل رياناتو رايسْفي (الصورة) وأندرِش دانيالسن لي: ستبلغ جولي، قريباً، عامها الثلاثين، لكنّ حياتها لا تزال تتخبّط في فوضى وجودية. ذات ليلة، تذهب إلى حانةٍ، تلتقي فيها بأيفيند، الشاب الوسيم والجذاب، فتُقرّر الانفصال عن صديقها أكسل، برغبة في تجديد حياتها عبر علاقة أخرى، ربما تمنحها نظرةً مختلفة للحياة والعلاقات، ولنفسها أيضاً. غير أنّ بعض الخيارات ربما لن يكون صائباً، أو تجاوزته سابقاً.

■ 6 Compartment No

ليوهو كوسمانِن، تمثيل ديناررا دْروكاروفا (الصورة) ويوريبوريسّوف: هرباً من علاقة حبّ غامضة عاشتها في موسكو، تسافر لورا بالقطار إلى القطب الشمالي، فتجد نفسها في مقصورة واحدة صغيرة الحجم مع عامل منجم روسي. لقاء غير متوقّع ومُزعج في البداية، يتحوّل تدريجياً إلى مواجهةٍ بينهما، تكشف لهما حقائق كثيرة متعلّقة بالتواصل بين الناس، وبأمور الحياة والتفاصيل الصغيرة والمسائل المختلفة.

■ Captain Volkonogov Escaped

لنتاليا مركولوفا وألكسي تْشوبوف: بعد عمر أمضاه في خدمة مؤسّسة تابعة لنظام فاشي تسنّ القوانين لمصلحة النظام نفسه، يجد الرقيب فولْكونوغوف (يوري بوريسوف) نفسه في موضع الاتّهام جنائياً، ما يدفعه إلى الهرب من زملاء سابقين له يتنافسون في مطاردته لإلقاء القبض عليه. أحداثُ الفيلم (الصورة) مستلّة من اضطهادات سياسية سوفييتية حصلت عام 1938.

■ Flee

ليوناس بور راسموسّن، صوت الراوي رشيد أيتوغانوف (الصورة): مزيجٌ من اللقطات الأرشيفية وموسيقى الـ«بوب» في ثمانينيات القرن الـ20 وفن التحريك السينمائيّ، ينقل الفيلم تجربة مراهقين فارّين من بلدانهم، والتأثير النفسي للفرار والتجربة عليهم، وعلى كيفية مقارباتهم مفاهيم الحب والثقة والهوية، وذلك من خلال قصة أمين، الأكاديمي الناجح، الذي يخفي سرّاً منذ 20 عاماً.

■ Tout S'est Bien Passe

لفرنسوا أوزون، تمثيل صوفي مارسو (الصورة): تعاني إيمانويل اضطرابات نفسية بسبب عجزها عن تأليف رواية جديدة، ما ينعكس سلباً على جسدها. لذا، تضطرّ إلى الاستعانة بمساعدة، تتجاوز مهمتها في كتابة ما تمليه عليها، إلى علاقة إنسانية معها، تمنحها تأمّلات جديدة في الحياة والحب والأمومة والعلاقات.